الدرس الثامن: الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية

الفتح والإمالة

أهداف الدرس:

-تعريف الطالب بمفهوم الفتح.

-مقارنة الطالب بين نطق الفتح في اللهجات المختلفة؛ ليستنتج أنّ له فرعًا، وهو الإمالة.

-التعرّف على أنواع الإمالة.

- التعرف على علل الإمالة باعتبارها فرعا توجبه العلة، وكذا التعرف القراء المشهورين بالإمالة، ومنهم ورش رحمه الله.

الدرس:

الفتح والإمالة ظاهرتان لغويتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم. والفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد (التميميين، والقيسيين، وبني أسد) (ينظر: الإتقان للسيوطي). والفتح أصل والإمالة فرع عليه.

1/ الفتح: عبارة عن فتح القارئ لفيه عند النطق بالحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر. مثال: (قال). وهو نوعان: متوسط وشديد، والشديد لا يجوز في القرآن، وإن كان موجودا في لغة العرب. تمثله في (قال) مثلا يكون بنطق الألف (a) الفرنسية مفخّمة. وذلك لا يجوز في القرآن كما ذكرنا.

2/ الإمالة: لغة مصدر أملته إمالة، والميل الانحراف. أما اصطلاحا فهو أن تنحو بالألف نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة (ينظر: النشر لابن الجزري).

إذن الإمالة-عند الدارسين-تكون في الفتح؛ طويله وقصيره نحو الكسر طويله وقصيره. والغالب فيه إمالة الألف نحو الياء. وأما إمالة الفتحة نحو لكسرة فتكون في حالتين:

أ/ قبل الراء المتطرفة المكسورة، شرط أن تباشر الراء، غير فتحة للياء. مثال إمالة الفتحة نحو الكسرة: (الكِبَر) تقرأ بإمالة فتحة الباء نحو الكسرة. هذا وقد تأتي غير مباشرة للراء؛ أي مفصولة عنها شرط أن يكون الفاصل مكسورا أو ساكنا غير الياء. مثاله إمالة فتحة الهمزة من (أَشِر).

ب/ قبل تاء التأنيث الموقوف عليها، مثل: رَحْمَه، نِعْمَه. فيجوز إمالة فتحة ما قبل الهاء حال الوقف دون الوصل؛ إذ يكون فيه الفتح.

إمالة الألف: وهي التي حظيت باهتمام علماء القراءات، وقسموها إلى نوعين:

إمالة كبرى: أو شديدة، أو محضة، وتسمى أيضا البطح أو الإضجاع: وهو أن تنحو بالألف إلى الياء إلى حدّ لو زدت عليه صارت ياء. وذلك أن تنطق بالألف مركبة على فتحة تُصرف إلى الكسر كثيرا. كما ذكر ابن الجزري. (ينظر النشر في القراءات العشر). ولورش من طريق الأزرق إمالة كبرى واحدة، وذلك في (طه).

إمالة صغرى: وتسمى بين بين، أو التقليل، أو التلطف. (ينظر الإتقان في علو م القرآن للسيوطي).

وهي إلى الألف أقرب من الياء. كما في رواية ورش-وهو المشهور بالإمالة- ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ الضحى/1-8.

علل الإمالة: قال القيسي: اعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث، وهي: الكسرة، وما أميل ليدلّ على أصله، والإمالة للإمالة. والأخير أقلها تصرفا، ولأجل أوسطها تجري أكثر الإمالات. (ينظر: الكشف للقيسي). وللنوع الأول والثاني حالات؛ لذا ارتأى بعض تقسيمها مباشرة إلى عدّة أنواع؛ بعضها للعلة الأولى، وبعضها للثانية، وواحد للثالثة.

1/ إمالة الألف بسبب كسرة متقدمة عليها كما في(ضِعافا) النساء/9 قرأها حمزة بخلاف عنه بإمالة الألف بسبب كسرة الضاد. وأجازوا الإمالة مع الفصل بين الألف والكسرة شرط أن يكون الفاصل ساكنا. كما في(الإنسان).

2/ إمالة الألف بسبب ياء متقدمة عليها كما في: (أحياكم) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ البقرة/28. وأجازوا ذلك مع الفاصل كما في: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/64

قرأها بعض القراء بالإمالة منهم حمزة والكسائي وخلف.

3/ إمالة الألف بسبب كسرة متأخرة مباشرة لها. كما في: (عابد) الكافرون/4. أمال الألف هشام بخلاف عنه.

4/ إمالة الألف بسبب ياء متأخرة مباشرة لها، وذلك في الأسماء والأفعال على حدّ سواء كيفما كانت حركة الياء. كما في (معايش) الحجر/20. أمال الألف حمزة والكسائي.

5/ إمالة الألف بسبب كونها عينا في الأصل ياء متطرفة. كم في: الهدى، يخشى.

6/ إمالة الألف أو الفتحة بسبب مجاورتهما لألف ممالة (الإمالة للإمالة) كما في: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ النجم/11. يميل ورش عن نافع فتحة الراء بسبب إمالة الألف بعدها. وهذه الأخيرة ممالة ركونها ياء متطرفة.

7/ إمالة الألف التي أصلها واو لانقلابها ياء في بعض أحوالها ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ النساء/127. في (تلا) فهو وإن كان أصله (تلو) واويا إلا أن بناءه للمجهول (تُلِيَ).

8/ الإمالة للشبه، كما في (الحسنى) إذ الألف فيها غير منقلبة عن ياء إلا أنها أميلت للشبه ب (الهدى). زيادة على ذلك فهي على وزن(فُعْلَى)، وما جاء كذلك - وكذا بفتح الفاء و بكسرها-يقرأ بالإمالة. إلى غير ذلك من الأسباب. (ينظر: الكشف للقيسي، والنشر لابن الجزري، وعلل القراءات، لمحي الدين سالم، وغيرها من كتب القراءات).

ملاحظة: حرف الاستعلاء يمنع الإمالة، كما في: (أبصارَهم) التي تقرأ بالفتح إلا أن تُبطل الراء المكسورة منْعه. كما في (أبصارِهم). إذ تقرأ بالإمالة.

تطبيق: الفتح والإمالة

حدّد مواضع الإمالة مبينا نوعها وسببها عند ورش عن نافع وغيره.

قال تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ۝١٨ ﴾ النجم/1_18.

وقال: ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ﴾ الذاريات/13.

وقال: ﴿ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ الطور/18.

الإجابة:

-إن ورشا يميل الألفات إذا كانت رؤوس آيات قولا واحدا سواء أكانت الألف منقلبة عن ياء أم لا. زيادة على ذلك كل من (هوى، الهوى، غوى، يوحى، القوى، استوى، تدلى، يرى، المنتهى، المأوى، يغشى، طغى) كلها ذوات الياء؛ أي الألف فيها منقلبة عن ياء.

-الأعلى، والأدنى الألف فيهما على الرغم من أن أصلها واو إلّا أنّها في أحد تصريفاتهما انقلبت ياء، في (أُعْلِيَ) و(أُدْنِيَ).

-الكبرى، والأخرى للشبه بذات الياء. وكلها إمالات صغرى(التقليل). وهي كذلك على وزن(فُعْلَى)

-رأى، ورآه: هما إمالتان لأجل الإمالة؛ إمالة فتحة الراء بسبب إمالة الألف التي أصلها ياء.

-إمالة (النار) في الذاريات بسبب كسرة الراء بعدها.

-موضعا الطور: الإمالة لأنها من ذوات الياء؛ الألف أصلها ياء.